مرافعة صبراتة: الدفاع وتطور القضاء خلال العصر الروماني

إعداد: د. ليلى عبد القادر علي الغنّاي
قسم التاريخ - كلية الآداب والتربية - صبراتة / جامعة صبراتة

الاستلام: 14.9.2023 القبول: 11.10.2023

المستخلص:

يسعى هذا البحث لدراسة مرافعة مدينة صبراتة الليبية وتطور القضاء بها خلال العصر الروماني، وتقتصر دائرة الاهتمام على هذه الفترة التاريخية التي شهدت اهتمامًا خاصًا أكدته المصادر الرومانية من حيث تنظيم مؤسسة القضاء.

وقُسّم البحث إلى خمسة محاور، يهدف الأول إلى عرض وتحليل القضاء خلال العصر الفينيقي وجاء المحور الثاني متناولاً القضاء في العصر الروماني، مع إيلاء أهمية خاصة لقانون المرافعات الذي كان له الفضل في تطور القضاء بشكل عام وقانون المرافعات بشكل خاص محور الثالث وهو ما استند عليه البحث، وما مكّن المدينة من تحقيق تطور في بنائها القضائي من خلال مرافعة صبراتة، وحتى نلمس ذلك التطور وجب الاستشهاد بنص المرافعة أو الدفاع وهذا ما سيتطرق إليه المحور الرابع.

أَمَا الخاتمة تحتوي على مجموعة الأفكار والنتائج التي تم الوصول إليها بين ثنايا البحث؛ والتي يراد بها طرح موضوعات جديدة توظف لدراسة التاريخ الحضاري بخاصة القضائي منه والبعد عن التاريخ السياسي.

كلمات مفتاحية: لوكيوس أبوليوس، تُهَم، القانون الروماني، مستعمرة.

Abstract:

This research seeks to study the litigation of the Libyan city of Sabratha and the development of its judiciary during the Roman era. The scope of interest is limited to this historical period, which witnessed special interest conflrmed by Roman sources in terms of the organization of the judicial institution.

The research was divided into flve axes. The flrst aims to present and analyze the judiciary during the Phoenician era. The second axis dealt with the judiciary in the Roman era, with special importance being given to the law of pleadings, which had the credit for the development of the judiciary in general and the law of pleadings in particular. The third axis is what the research was based on. What enabled the city to achieve development in its judicial structure through the Sabratha plea, and in order for us to touch that development, the text of the plea or defense must be cited, and this is what the fourth axis will address.

The conclusion contains a set of ideas and results that were reached during the research. Which is intended to present new topics that can be used to study cultural history, especially judicial history, and away from political history.

Lucius Apuleius, charges, Roman law, colony.

المقدمة:

إن دراسة التاريخ القضائي لمدينة صبراتة الليبية على اختلاف فتراته التاريخية خلال مرحلة التاريخ القديم تكتسي أهمية، بالغة كونها تكشف عن بعض جوانب الحياة القضائية ولمحات من الحياة الاجتماعية ومنها مشاكل المجتمع في مدينة صبراتة، وذلك من خلال تتبع النظام القضائي والقانوني للمدينة خلال الفترة الفينيقية والرومانية، مع مراعاة أنّ للمدينة عاداتها وقوانينها التي حافظ عليها أهلها وأضافوا إليها ما يتلاءم مع حياتهم.

وتطرح دراسة مرافعة"[*] صبراتة الليبية الدفاع وتطور القضاء خلال العصر الروماني مشكلة من نوع خاص نظرا لشح المصادر وعدم عنايتها بطبيعة الحياة القانونية وتطور القضاء وأصنافه، كما تعد المصادر التشريعية التي طالما شكلت مادة مصدرية هامة جدًا، بالنسبة لهذه الدراسة خاصة في تلك الفترة صعوبة أخرى في ضبط وتحديد الحياة القانونية، باعتبارها أولت عناية بالتنظيم الإداري أكثر من أي أمر آخر.

وبالرغم من أن النظام القضائي في المدينة اعتمد في تشريعاته على القوانين الرومانية بشكل يجعلنا نبحث عن وضعيات الفكر القضائي في ضوء ذات القوانين والتشريعات التي تقننن حياة الأفراد داخل مجتمع مدينة صبراتة، مع مراعاة الخصوصية التاريخية والحضارية للمدينة كونها ضمت الفيلسوف (أبوليوس)" [(1)].

وقد ترتب عن هذه الخصوصية نوع من عدم الوضوح والاضطراب، فأضحى من الصعب تصنيف الهيكلية القضائية وفقاً للمقاييس القانونية أو الترتيب الإداري للمدينة والتي سيتم التطرق إليها تباعاً خلال الحقبتين الفينيقية والرومانية.

---

[*]- المرافعة لغة: إن لفظة المرافعة لم تكن متداولة صراحة عند وضع المعاجم التراثية الأولى، فلم يعثر في أيّ منها على أي دليل واضح يفيد أنها قد استعملت، وما وجدناه حقيقة لا يتعدى كونه إشارات إلى مفهومها في الوقت الحاضر فقد جاء في لسان العرب، الرفيعة: ما رفع به على لرجل، ورفع فلان على العامل رفيعة، وهو ما يرفعه من قضية ويبلغها، والرفع هذا من رفع فلان على العامل إذا أذاع خبره وحكى عنه.

وجاء في القاموس المحيط: رفعه، ومنه رفعته إلى السلطان رفعاناً ؛ وفي تاج العروس يقترب المعنى للمرافعة من الفهم المعاصر لها، فيقول صاحب تاج العروس « ومن المجاز (رافعه إلى الحاكم) مرافعة: قدمه إليه ليحاكمه وشكاه لكن المعاجم المعاصرة تورد هذه اللفظة لتدل بشكل صريح على معناها المتداول، ففي المعجم الوسيط نجد « رافعه، رفعه. وإلى الحاكم غيره: رفع إليه الأمر وشكاه. ويقال، رافعه وخافضه، داوره كل مداورة، (ترافعًا) إلى الحاكم: تحاكماً والمحامي عن المتهم القضاء دافع عنه بالحجة اصطلاحًا.

كما أن لفظ المرافعة لم يكن مستعملاً قديمًا، فإننا لا نجد لها معنى اصطلاحيًا بلفظها هذا، وهذا لا يعني أن المرافعة بمفهومها المعاصر لم تكن معروفة قديمًا، ولكنها كانت مستعملة من العصر اليوناني باسم الخطبة القضائية؛ سلمان القضاة، المرافعة القضائية (نشأتها وأصولها، لغتها، أساليبها، طرق أدائها)، جامعة اليرموك: دمشق ، 11-29 https:// eastlaws.Com:عمران محمد بورويس، المرافعة فنًا وعلمًا.ص6 2014م

محمد بن علي بن خميس المرزوقي، بحث في آداب وفنون المرافعة امام المحاكم، إنجازاً لمتطلب دورة تدريب معاوني الادعاء العام، قدم بتاريخ 31/12/2005م

https://www.mohamah.net/law

(1) لوكيوس أبوليوس المادوري أو (لوسيوس أبوليوس) كان يسمي نفسه في مخطوطاته أحيانًا أبوليوس المادوري الأفلاطوني و" الفيلسوف الأفلاطوني" ولد في مدينة مادورا (مادروشة حالياً)، وهي المدينة النوميدية التي لا يزال اسم أمدوروش يطلق على موقعها الأثري بولاية سوق أهراس شرق الجزائر تبعد حوالي 123م على شاطئ مجردة، يعتبر صاحب أول رواية في التاريخ وتوفى، هو كاتب لاتيني وخطيب نوميدي وفيلسوف وعالم طبيعي وكاتب أخلاقي وروائي ومسرحي وملحمي وشاعر غنائي.

وهنا السؤال الذي يطرح نفسه كيف كانت الأوضاع القانونية في صبراتة الليبية قبل الاحتلال الروماني؟ والتساؤل عن إمكانية استمرار ذات الهيكلية القانونية لأنها كانت سائدة خلال الفترة الفينيقية؟ وهل أصبحت المدينة رومانية حقاً في بنائها القضائي أم إنها فعلاً بونيقية؟ وهو ما سيقودنا للحديث عن الحياة القضائية في العصر الفينيقي كمصدر أساسي عن حالة القانون والقضاء الذي تنوعت روافده من خلال المصادر.

وتكمن أهمية البحث في دراسة موضوع مرافعة صبراتة وتطور الفكر القضائي بها محاولة لتصحيح بعض المعلومات المتعلقة بتاريخ صبراتة الليبية القديم وإرجاعه لحقيقته بخاصة وأن المادة كتبت من قبل المؤرخين الرومان الذين صاغوا المادة التاريخية طبقًا لأهوائهم رغم إثرائهم لتاريخ المنطقة وكذلك تفنيد التهم الموجهة للفيلسوف لوكيوس أبوليوس.

ويهدف البحث إلى دراسة تطور القضاء وقانون المرافعات في مدينة صبراتة الليبية باعتبارها موضوعًا هامًا يتعلق بالحياة القضائية ومنها ممارسة قانون المرافعات من خلال المصادر الكلاسيكية كمرافعة أبوليوس مع التأكيد على أهمية مدينة صبراتة الليبية التي نالت مرتبة المستعمرة الرومانية مع التطرق لتطور أسلوب الدفاع والمرافعة في صبراتة، وارتكز البحث على المحاور التالية:

1- القضاء خلال العصر الفينيقي
2- القضاء في العصر الروماني
3- قانون المرافعات
4- نص المرافعة أو الدفاعApologie
5- النتائج

القضاء خلال العصر الفينيقي:

حظيت مدينة صبراتة الليبية شأنها شأن إقليم المدن الثلاث تريبوليتانيا تريبوليس "Tripolitania" [2]. (لبدة Leptis Magna وأويا Oea وصبراتة وصبراتن "Sabrat" بقسط من الحرية في شؤونها الداخلية إلا في حدود ضيقة "[3] فيقترح وارمنجتون وجود عدة أنظمة في تلك المدن مثل القضاء والجمعية الشعبية والمجلس البلدي ومجلس الشيوخ ، ولعل للمدينة نصيبها من تلك القوانين ، ويذهب وارمنجتون للاعتقاد بأن المدن الثلاث استخدمت لقب الشوفيت" Sufete [4] وتعني قاضي في اللغة الفينيقية "والقاضيان أو الحاكمان "يجرى انتخابهما سنويا من بين أرستقراطيّ المدينة ، ووظيفتهما من أهم الوظائف وهي في أعلى السلم الإداري ، وتكمن هذه الأهمية في كيفية اختيارهما ، فيذكر أرسطو " أن انتخابهما كان يتم سنويا على أساس الثروة والجاه والنفوذ" [5]، وتتم عملية الانتخاب من قبل المجلس الشعبي مع إمكانية إعادة الانتخاب مجددًا ، وتوجد إلى جانب الشوفيتم كهيئة قضائية بعد مجلس الشيوخ والمجلس الشعبي - المماثل لمجالس قرطاج الشعبية- وكانا يتمتعان بسلطات قضائية وتنفيذية ومن مهامهم القضائية الفصل في المحاكمات— ولن يتم التعرض للنظام الإداري في مدينة صبراتة الليبية للدراسة إلا فيما يخص الجانب القضائي - ولمجلس الشيوخ أهميته القضائية في

(2) محمود الصديق أبوحامد، طرابلس من الاستيطان الفينيقي، الدار العربية للكتاب: طرابلس، 1978. ص78.
(3) Markoe, Glenn, Phoenicians (Peoples of the Past), Hardcover: June 1, (4)-2000.P 90.
(4) Warmington.B.H.'The Semitic Migrations to Libya and North Africa , Libya Antqua,Printed in France:unesco.1986.p170
(5) أرسطو طاليس، السياسة، تر: أحمد لطفي السيد، منشورات الفاخرية: الرياض، (د.ت) ص181.

العصر الجمهوري حوالي منتصف القرن الخامس ق.م فقد كان يجتمع بناء على دعوة من القضاة "[6]. ويؤكد أرسطو على أهمية بعض أعضاء مجلس الشيوخ " أن خمسة من أعضائه كانوا في وظيفة القادة الجنرالات الخمسة بنتارخيس (Pentarkes) كان من واجبهم انتخاب أعضاء المحكمة "[7] وتعود إلى نظام قرطاج السياسي فما ينسحب عليها ينطبق على صبراتة الواقعة تحت السيطرة القرطاجية مع وجود لحكام هذه المدينة تماثل وظائف حكام قرطاج وهو ما أظهرته نقوش لبدة (IPT 17) "[8]، وهذا يبعث للاعتقاد بتماثل مؤسسات صبراتة القضائية في تكوين والوظائف مع مجالس قرطاج.

فقد كانت للمدينة تاريخاً مع القضاء تعود جذوره إلى عهد قرطاج حيث كان للقضاة (بمحكمة المائة وأربعة) رقابة على سير الدولة؛ وذلك بفضل دستور قرطاج حيث عرفت توزيع السلطات وسيادة القانون وسلطان القضاء "[9].

واستمر نظام القضاء الفينيقي قائما خلال السيطرة النوميدية فقد تمتعت المدن الثلاث بحرية " في شؤون الحكم الداخلية التي تركت في أيدي سكان المدن "[10] وترك لمدينة صبراتة الليبية حرية الأخذ بأنظمة تطابق القوانين والعادات الفينيقية "[11]، وقد ظلت النظم الفينيقية سائدة في المدن الثلاث إذ بقيت أسماء الموظفين والكهنة والقضاة فينيقية بدون تغيير حتى القرن الثاني عندما أدمجت مع النظم الرومانية " [12].

القضاء في العصر الروماني:

تقتضي دراسة تطور النظام القضائي بمدينة صبراتة الليبية في العصر الروماني الرجوع للمصادر الأثرية والكتابات الكلاسيكية والتشريعات/ القوانين الرومانية، ففي العصر الجمهوري (509ق.م-27ق.م) عَهد مجلس الشيوخ الروماني إلى اللجنة التشريعية بمهمة تنظيم الولايات الرومانية عشية سقوط قرطاج عام 146 ق.م، وأوكلت لها مهمة إقامة الحدود وتنصيب الحاكم، ويتضح من آلية عملها أنها ليست لجنة تشريعية.[13] وظيفتها وضع نصوص قانونية تحدد الوضعية الإدارية والاجتماعية لأهالي الولاية"

وبهذا أصبح حال التشريع والقضاء للمدينة وسكانها تحت إملاءات وقرارات حكام روما المتعاقبون على الولاية.

أما عن وظيفة الشوفيتم فإن النصوص الإمبراطورية المتعلقة بهذه الوظيفة وكيفية جمع الضرائب تسمح بتحديد جزء من شكل النظام القضائي، إلاّ أنها تظل غير كافية لرسم صورة حقيقية للنظام القضائي في صبراتة خلال فترة الاحتلال الروماني، لأن النظام يقتصر على وظائف محددة وقفت عليها المصادر وهنا نجد أنفسنا أمام إشكالية جديدة عند معالجة هذا الموضوع. هل يمكن وضع النظم الإدارية والسياسية من بين الأنظمة القانونية والاجتماعية التي ترسم البناء / الهيكل القضائي أمَ أن القضاء ظل يخضع لمنطق التبعية السياسية والإدارية؟ أي أنه لا يصنف بمعزل عن الإدارة والسياسة،

---

(6) عبد الحفيظ فضيل الميّار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المركز الليبي للمحفوظات: طرابلس، 2001. ص126.

(7) أرسطو، ص 179.

(8) عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية، ص 128.

(9) عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب الكبير القديم والوسيط، تر: فضيل الحكيم، دار الحداثة، 1982.ص13.

(10) أحمد محمد إنديشة،التاريخ السياسي والاقتصادي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع،ليبيا،1993م.ص47.

(11) B.H. Warrmington. Carthage. Pelican.Book. fuland,1964. P63.

(12) محمد البشير الشنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر، 1985. ص87.

(13) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وهنا يتبادر إلى السؤال التالي ما هو دور السلطة المركزية في العاصمة روما حول هذه التشريعات الآنية؟

ويذهب الدكتور الشنيتي للقول بأن " السلطة المركزية في روما لم تكن تمنح حكام الولاية صلاحيات تشريعية. لتحدد بوضوح النظام القانوني في الولاية [14] تخولهم إصدار قوانين. تكون أساسًا لحكم من يأتي بعدهم" " فأصبح كل حاكم يتصرف بأسلوبه اتجاه المحكومين دون أتباع خطى أسلافه، لم تول التشريعات الرومانية بشكل عام وفي العهد الجمهوري بشكل خاص اهتماماً كبيرًا لقضايا الشعوب الخاضعة لها بقدر ما كانت، فضلًا عن أن الولايات الرومانية ومنها صبراتة كانت متقلبة في أواخر [15] تهتم بالشعب الروماني نفسه" العهد الجمهوري كون هذا المستعمر لم يعن بأمر الولايات الإفريقية إلا بما تزوده من سلع كالقمح من صبراتة.

وبالرغم من أهمية المدينة الاقتصادية في إقليم المدن الثلاث لكن يبدو أن المدينة قد تجاذبتها تيارات ومؤثرات اجتماعية وسياسية داخلية ذات فاعلية ظهرت في بنائها القانوني الذي اقتصر على الهياكل العليا العليا للإدارة العسكرية والمدنية وذلك لأن الهياكل التشريعية والإدارية الرومانية في بلاد المغرب لم تبرز بوضوح إلا خلال القرن الثاني الميلادي. وذلك عندما نالت المدينة خلال عهد ماركوس أوريليوس(161-180م) مرتبة المستعمرة الرومانية 165-166م ، فأصبحت تسير وفق المؤسسات والنظم الرومانية منذ النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي " وبموجب هذه المرتبة نال سكان هذه المدينة الحقوق اللاتينية أي المواطنة الرومانية " غير أن هذا الوضع المتعلق بالمواطنة يبدو أنه كان شكليا أكثر من كونه واقعيا حيث أخضع جميع المواطنين للضرائب التي أثقلت كاهلهم باستثناء لبدة مسقط رأس الإمبراطور سبتيموس سيفيروس (193-211م) فقد نال مواطنوها بعض الحرية على أرضهم، ورغم نيل مدينة صبراتة صفة المستعمرة [16]والمحكمة الرئيسية بالمدينة " [17] السوق" والمسرح والشوارع بيد أن نصيبها " يبدو ضئيلاً لدرجة يصعب معها التعرف على الأوضاع القانونية التي تحدد تطور القضاء .[18] في ظل الاستعمار الروماني".

وهذا يقودنا إلى التلميح بشكل مختصر للقوانين الرومانية التي تنقسم تبعا للتطور الذي مرّ به القانون الروماني عبر العصور، فالمعروف عن الرومان بأنهم أكثر الشعوب القديمة ميلاً إلى التقاضي في مرافعات امتاز بها القانون الروماني فتطورت تقنيناته للعلاقات الاجتماعية كالعلاقات الأسرية والمالية ودعاوي القضاء ونظام العقوبات. وعرف الكثير من القواعد التي تزال آثارها موجودة في التشريعات الحديثة وتنقسم إلى خمسة أقسام هي: 1- نظام الرق .2 - نظام الأسرة .3- نظام التبني والإرث .4- نظام الجرائم والعقوبات. 5- نظام المرافعات.

---

(14) محمد البشير الشنيتي، ص87.

(15) د. ي، هاينز، دليل آثار وتاريخ منطقة طرابلس، منشورات مكتبة: طرابلس، 1946. ص 52-51.

(16) عبد الحفيظ فضيل الميار، دراسة تحليلية للنقائش البونية، منشورات جامعة الفاتح: طرابلس، 2005. ص190.

Carinemahy, "Sabratha÷ Retrieved.÷ Edited 28-4-2011 www.ancien eu

(17) المحكمة الرئيسية أو البازيليكا وهي دار العدالة عبارة عن بناء مسقوف مستطيل الشكل طوله يبلغ ضعف عرضه وبه انحناء نصف دائري ووجدت البازيليكا بمدينة صبراتة في الجهة الجنوبية الغربية من الفورم، والبازيليكا لم تكن دارًا للعدالة فقط بل كانت مكانًا للمزايدات التجارية وقد سُمِح للشعب بدخولها للتسلية والاستماع للمحاكمات والمساومات بين التجار والمحاضرات العامة.

(18) محمد البشير الشنيتي.ص87.

قانون المرافعات:

عندما سادت الحضارة الرومانية نهج الرومان على خطى أساتذتهم اليونانيين في الخطابة، فكانت المرافعة أو الخطابة عند الرومان شبيهة بتلك التي عند اليونانيين ولأنه في أصل القانون الروماني ما يهيئ فرصة ملائمة للمرافعة ، ذلك أن الرومان يسمحون للمحامين أن ينوبوا عن المتقاضين ويلقوا الخطب نيابة عنهم أما م القضاة وبحضور جمع من الناس لهم الحق في شهود المحاكمة ، وكان أشهر خطبائهم على الإطلاق شيشرون (43-106ق. م) ، ويصفه محمد صقر خفاجة بقوله :" ومضى شيشرون يعلو في عالم المرافعات ويلمع في الخطب التي يلقيها في الجمعية العمومية شديدًا عنيفًا وطنيًا ومحبًا للخير"[19].

شَملَ القانون الخاص الروماني قانون المرافعات حيث وجد اختلاط واندماج بين القواعد الموضوعية وقواعد المرافعات عند الرومان ويفسر ذلك بعمل رجال القانون الرومان على استحداث العديد من الوسائل لتطوير القانون والاعتراف ببعض الحقوق أما م المحاكم مما أوجد العديد من القواعد المدنية أو التجارية ضمن نظا م الإجراءات والمرافعات. والأخير مرَّ بثلاثة مراحل أساسية:

1- مرحلة دعاوى القانون: وتمتد هذه المرحلة من نشأة مدينة روما إلى غاية سنة 130 قبل الميلاد تاريخ صدور قانون إيبوتيا. وقد بدأ تنظيم قواعد المرافعات تنظيما دقيقا بعد صدور قانون الألواح الاثنا عشر رغبة في استبعاد هيمنة الأشراف ورجال الدين وقد نظم القانون القضاء وألزم عرض النزاع على القاضي" كما غير هذا القانون أدلة الخصوم حيث صارت حجج موضوعية وعقلية بعد ما كانت تعتمد على قوى غير طبيعية ، منها كما أن الدعوى كانت تتم في جو من الشعوذة والسحر واللجوء إلى القوى الطبيعية لنصرة الحق فمثلا صاحب الحق في ملكيته يثبت حقه في النزاع إذا تمكن من نطق الكلمات الدينية نطقا صحيحا زعما أن الآلهة تدعمه" [20]، وبهذا حل القاضي محل تلك الشعائر الدينية، ولكن نظرًا لطابعها الديني الأوليّ فقد بقيت فرعية وشكلية رقم تحررها من الطابع الديني.

تم تقسيم الدعوى إلى مرحلتين في عصر قانون الألواح الإثنى عشر وذلك بهدف ضمان عد م تعسف الحاكم القضائي في استعمال سلطته بعدما كانت هناك مرحلة واحدة يُفصل فيها الملك مباشرة.

1- المرحلة الأولى: (وتتم أما م الحاكم القضائي): "حيث يوجه البريتور(**) الخصومة

(19) سلمان القضاة، المرافعة القضائية، جامعة اليرموك: دمشق، 29-نوفمبر 2014.شبكة المعلومات الدولية. https://koha.birzeit.edu

(20) هشام بن ورزق، محاضرات في تاريخ النظم القانونية، جامعة محمد لمين دباغين:سطيف، 2014. ص 68. توفيق حسن فرج، القانون الروماني، الدار الجامعية للطباعة والنشر: بيروت، 1985، ص26؛ عكاشة محمد عبد العال، القانون الروماني، الدار الجامعية للطباعة والنشر: بيروت، 1988، ص70.؛ ميشيل فيليه، القانون الروماني، ترجمة: هاشم الحافظ، مطبعة الارشاد: بغداد، 1964. ص13-14؛ عبد المجيد الحفناوي، دراسات في القانون الروماني، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت: 1986، ص63-64.

(**) لقب أعطته حكومة روما القديمة إلى بعض قادة الجيش والولاة المنتخبين لديها. يحمل البريتور مسؤوليات وصلاحيات متعددة، واختلفت هذه الصلاحيات عبر التاريخ. واللقب يعني القاضي أو الحاكم، تمتع البريتور بنشاط فعال في هذا العصر بسبب صدور قانون ايبوثيا الذي أوجد نظام المرافعات التحريرية، فالبريتور هو الذي يضع نموذج الدعوى ويقوم بتحريرها ويثبت ادعاءات الأطراف ويحدد سلطة القاضي في حسم الدعوى أو فهو يقرر قبول الدعوى او عدم قبولها ، كما أصبح المنشور البريتوري من أهم مصادر القانون الروماني وأصبحت القواعد التي يضعها البريتور فرعا من فروع القانون الروماني، وجعل البريتور القواعد العرفية وقواعد القانون الاثنى عشر عديمة القيمة إذا تعارضت مع مبادئ العدالة وقواعد حسن النية في المعاملات، لذا كانت قواعد القانون البريتوري اما مكملة او معدلة لنصوص القانون المدني.
عصام طوالبي الثعالبي، مدخل عام تاريخ القانون، دار هومة: الجزائر، 2016. ص 138.

ويراقب رسمية الإجراءات واحترام الشكليات المفروضة بموجب القانون خاصة قانون الألواح الاثنا عشر كما أنه يعين حكم أو قاضي من المواطنين للفصل في النزاع، فلا يفصل الحاكم القضائي فيها وإنما يفصل فيها الحكم وهو من اتفق عليه الخصمان.

ويجب عليه التفرقة بين الحاكم القضائي والحكم أو القاضي، فالأول موظف وحاكم أما القاضي أو الحكم فهو شخص عادي لا وظيفة له في الدولة"، تنتهي المرحلة الأولى بعمل قضائي هام وهو الإشهاد على الخصومة وهو" تحديد الخصومة القائمة بين الطرفين المتنازعين واتفاق الطرفين على تحكيم شخص معين ليفصل في النزاع القائم بينهما" [21]. كما يشهد الحاكم القضائي والشهود على اتفاق الطرفين على التحكيم.

- المرحلة الثانية: (وتتم أمام الحكم أو القاضي): وتتم بها الإحالة إلى القاضي أو الحكم للفصل في النزاع حيث يعرض النزاع على القاضي وتنتهي بصدور الحكم.

2- المرافعات الكتابية (نظام دعاوى البرنامج): بعد صور قانون إيبوتيا ظهر نظام المرافعات الكتابية وكان في البداية اللجوء والعمل به اختياريا حيث سمح للأفراد استعمال دعاوى القانون القديمة أو النظام الجديد. لكن في عهد الإمبراطور أغسطس صار النظام الجديد إجباريا بموجب قانون جوليا"[***].

إن نظام المرافعات الكتابية يشبه النظام القديم فيما يخص تقسيم الدعوى إلى مرحلتين والطابع التحكيمي لهذه الأخيرة، ولكنه يختلف عنه في توجبه الخصوم ادعاءاتهم مباشرة إلى البريتور الذي يقوم بصياغتها في برنامجه والملاحظ أن الحكم بالإدانة في المرافعات الكتابية يصدر عادة بالإلزام بدفع بمبلغ من النقود، وتجدر الإشارة إلى أنه ورغم العمل بهذا النظام إلا أنه وجدت بعض المنازعات لا يطبق عليها هذا النوع من الإجراءات فقد كانت منازعات حالة الورثة والميراث تنظر من قبل المحاكم الجماعية الدائمة والمتخصصة، وتطبق نظام دعاوى القانون وليس نظام المرافعات الكتابية، كما أن الأباطرة كانوا يصدرون أحكامهم دون تعيين قاض حيث لا تعرف الدعاوى القضائية المنظورة من قبل الإمبراطور سوى مرحلة واحدة تتم أمام هذا الأخير [22]".

3- المرافعات غير العادية (الاستثنائية): ترجع بذور هذا النظام إلى السلطات القضائية التي تمتع بها الأباطرة وكبار الموظفين في الإمبراطورية العليا، حيث لم يخضع قضاؤهم لنظام المرافعات الكتابية آنذاك وبهذا سمي بالنظام الاستثنائي كما عرفنا أعلاه. حيث يمكن ربط نشأة هذا النظام بعوامل سياسية من خلال ازدياد سلطات الأباطرة وتعميم نظامهم القضائي وهذا ثمرة تطور تلقائي لذلك، يتميز هذا النظام الجديد بأنه غير الدعوى جذريا" [23]. وما طبقته روما من مرافعات عرفته أيضًا المستعمرات الرومانية ومن المعروف أن مدينة صبراتة قد أصبحت تسير وفق المؤسسات والنظم والقوانين الرومانية

---

(21) هشام بن ورزق. ص 81.

(***) قانون جوليا (صدر عام 63 ق.م) حظر على واضع اليد الغاصب الحيازة بالقوة من تملك المال بالتقادم، قوانين الألواح أو الجداول الاثني عشر (Leges XII Tabularu)(The Twelve Tables) حوالي 451ق.م 449ق.م تم وضعها نتيجة لمطالب العامة بتسويتهم بالأشراف من جهة، ومن جهة أخرى كانت نتاج احتكار الكهنة المعرفة القانونية والاحتيال في تفسيرها وتأويلها وتطبيقها، وهذا على حساب مصالح العامة، بالإضافة لحرمان العامة من تولي المناصب السياسية، ومن التملك ومن الزواج من الأشراف، هذه الحالة من الاحتقان داخل المجتمع الروماني وغليان الجبهة الداخلية، أدت إلى اندلاع ثورة العامة على الأشراف عام 464ق.م. إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة، 1978.ص ص -269-268-267-266 533-498: شفيق جراح، دراسة في تطور الحقوق الرومانية ومؤسساتها، مطبعة رياض: دمشق، 1982.ص11؛ منذر لفضل، تأريخ القانون، ط2، منشورات تاراس: أربيل، 2005.ص110.

(22) هشام بن ورزق، ص 81.

(23) هشام بن ورزق. ص 71-68-؛ لوكيوس أبوليوس، دفاع صبراتة، تر: علي فهمي خشيم، الشركة العامة للنشر: طرابلس، 1974.

منذ أن نالت مرتبة المستعمرة الرومانية بلغت ازدهارها وتقدمها الحضاري في القرن الثاني الميلادي، فاتّسع نطاق التحضّر وتطور المجتمع الافريقي وتداولت الكتب اللاتينيّة واليونانية تفتح الثقافة الإفريقية على العاصمة الرومانية، والتأثر به على منحى التطلّعات الفكريّة ، وكان من الأدباء وكبار الخطباء الأفارقة، ممّن ذاع صيتهم في ذلك العصر ، الأديب أبوليوس وتجسدت براعته في كتاب المرافعات الشهير المعروف في الكتابات التاريخية بدفاع صبراتة أو رواية الحمار الذهبي ، وتم إيثار ترجمتها Apuleius' defense أو دفاع أبوليوس، Sabratha defense هنا بالمرافعة لأنها دفاع أما م المحكمة ولكونها أيضًا واحدة من أشهر المرافعات في التاريخ القديم، أما عن زمن المرافعة فالدليل التاريخي على وقوع هذه المرافعة هو كتاب أبوليوس، والذي يرجح أنها تمّت في الفترة خلال سنتي 158- 159ق. م.

ولتكون المرافعة أكثر شمولية سوف نوضح أهمية هذه المرافعة من خلال عدة محاور بدءً من التعريف بالفيلسوف أبوليوس منذ نشأته حتى صراعه مع خصومه، عروجاً على توضيح أسباب المرافعة والتهم الموجهة إليه من قبل خصومه، ومن ثم إفساح المجال للحديث عن المرافعة، وختامًا تبيان أهم نتائج المرافعة.

ولكن قبل الخوض في تفاصيل هذه المرافعة سنستعرض بعض التفاصيل عن حياة أبوليوس لكي نفهم المرافعة بقدر كافٍ من الوضوح.

تمهيد:

لوسيوس أبوليوس (125ـ180م) مولده ونشأته حتى صراعه مع خصومه:

لوكيوس أبوليوس أبوليوس المادوري أو (لوسيوس أبوليوس) كان يسمي نفسه في مخطوطاته أحيانًا أبوليوس المادوري الأفلاطوني و" الفيلسوف الأفلاطوني" ولد في مدينة مادورا (مادروشة حاليا) ، وهي المدينة النوميدية التي لا يزال اسم أمدوروش يطلق على موقعها الأثري بولاية سوق أهراس شرق الجزائر تبعد حوالي 123م على شاطئ مجردة ، يعتبر صاحب أول رواية في التاريخ وتوفى، هو كاتب لاتيني وخطيب نوميدي وفيلسوف وعالم طبيعي وكاتب أخلاقي وروائي ومسرحي وملحمي وشاعر غنائي. يكتنف الغموض سنوات كثيرة من حياة أبوليوس، لأنه لا يسلط الأضواء في مؤلفاته إلا على فترات منها، ولا نجد من دون مؤلفاته بديلا يورد أخباره، باستثناء ما يورده القديس أوغسطينوس (Augustinus) من طفيف الأخبار، وكان أبوه حاكما بلديّا ميسورا قد تقلّب في مناصب الحكم البلدي التي كانت حكرا على وجهاء المدن وأغنيائها، حتى بلغ أسمى الرتب عندما أصبح أحد "الرجلين المشرفين على إدارة المدينة" (Duoviri). ويرجّح المؤرخون أنّه كان، كسائر الوجهاء الأفارقة، يمتلك في ريف مدينته حقولا من الحنطة والزيت جعلت إرثه يبلغ مَبْلَغًا مهما من المال (مليوني سترس يوم) اقتسمه أبوليوس مع أخيه.

أُرسل في صباه إلى قرطاجة لتلقي المعارف والحكمة ومعقل الأدب والثقافة وقد أمّها أبوليوس، بعد إنهاء المرحلة الثانوية بمادوروس، فأقبل على دروس الفصاحة والخطابة متلقيا تعليم "الريتور" (Rhetor) مدرّس البلاغة، بكدّ وشغف وتوق إلى اكتساب البراعة في صياغة فصيح الكلام واختيار اللفظ البليغ الذي يضفي على الخطبة رونقها، وأيقن أنّ تكوين المثقف لا يكتمل إلا بالإقبال على التعاليم الفلسفية والسفر إلى بلاد اليونان، وفي العشرين من عمره قصد أثينا مهد الفلسفة وموطن الحركات الفكرية ليواصل تعلمه، وفيها درس إلى جانب الفلسفة الخطابة والهندسة والموسيقى والشعر وعمل بفن الخطابة الذي كان حرفة رائجة ليحصل على بعض قوته، وفي بداية القرن الثاني الميلادي، جددت الآداب اليونانية حيويّتها، ونصبت أثينا الفيلسوف "غايوس" (Gaios) مجدّدا للمدرسة

الأفلاطونية، فتتلمذ أبوليوس على يد مدرسي الفلسفة الأفلاطونية من أتباع غايوس، وتعرّف إلى كتبهم واطلع على متونها وشروحها"[24].

لكنّ المدرسة الأفلاطونيّة أصبحت، في عهده تقتصر على السرد وتلقين القواعد المبسّطة والجامدة من ناحية، والمقترنة بميل شديد إلى التديّن والتصوّف من ناحية أخرى. فكان بروز هذا الجانب الصوفي واستتبابه ينذر منذ القرن الثاني، بالتحوّل الذي ستحدثه تعاليم بلوتينوس (Plotinus) وبورفيريوس (Porphyrios) باتجاه المدرسة الأفلاطونية إلى التصوّف في القرن الثالث.

وقد ترك هذا الاتجاه أثره في أبوليوس فتحوّل شيئا فشيئا تعلّقه بالمسائل الفلسفية إلى شغف بالمسائل الدينية، ودفعه ذلك الشغف المقترن بميله إلى التنقّل والسفر، العدّة بلدان، ومنها حسبما يبدو من مؤلفاته، منطقة تيساليا (Thessalia) الشمال اليونان التي اشتهرت بالسحر والشعوذة. حيث يقوم لوقيوس (Lucius) بطل قصّة "المسوخ" (Metamorphoses) أو "التحولات" بمغامراته الأولى، وزار أبوليوس كذلك جزر "بحر إيجه"[25]حيث ارتاد دون شكّ معبد الربّة اليونانية الكبرى هيرا (Hera) بجزيرة ساموس (Samos) -كما يدلّ على ذلك وصفه البديع لهذا المعبد في إحدى المحاضرات التي ألقاها بمسرح قرطاج — وزار آسيا الصغرى، حيث تجوّل فريجيا، (Phrygia). بلغ أبوليوس سنّ الدّراسة في عهد كانت فيه الطبقات الاجتماعية الوسطى بالمقاطعات الافريقية حريصة أشد الحرص على بذل أقصى الجهد للفوز بالرقي الاجتماعي والالتحاق بصفّ الفئات النبيلة، ولذا كانت مصرّة على تزويد أنجالها برصيد من الثقافة اللاتينية الأصيلة حتى تؤهلهم لتبوأ المناصب الادارية.

وبينما كانت المدن الصغرى تقتصر على توفير هذه المرحلة من مراحل التعليم، كانت مادوروش تعدّ من الأمصار التي يستطيع فيها الطلاب مواصلة دراستهم، فقد كان يؤمُّها من أبناء الطبقات الاجتماعية الوسطى بالمدن المجاورة من يسر حاله أو استطاعت أسرته تحمّل أعباء الانفاق رغم فقرها. أما أبوليوس فانه لم يغادر مادوروس طيلة المراحل الأولى من الدراسة، فانتقل من صفّ المعلّم إلى صفّ أستاذ اللغة (rammaticus latinus) الذي علّمه اللغة وقواعدها وعرّفه بالأدب الكلاسيكي وأعلامه، وفي مقدّمتهم فرجيليوس (Virgilius) وشيشرون (Cicero).

خلال الفترة من143م حتى 150م سافر بين مدن ساموس وهيرابولس وروما عاصمة، وزار أيضا آسيا الصغرى وبلاد المشرق والإسكندرية في مصر وأخذ يتنقل من مدينة إلى مدينة ومن دين إلى دين، وانضم إلى الجماعات ذات الطقوس الدينية الخفية ومارس السحر وألف كتباً كثيرةً في موضوعات تختلف من اللاهوت إلى مسحوق الأسنان، وألقى محاضرات في الفلسفة والدينة في روما وغيرها من المُدن، ثم عاد إلى أفريقيا.

ثم استقرّ في أويا (طرابلس) ممارساً للطب، وحل ضيفاً على أصدقاء له بمدينة أويا، حيث فاجأه المرض وألزمه الفراش فبقى لديهم لبرهة من الزمن ، وقد تناهى إلى سمع أحد شباب المدينة وهو سكيونس بونتيانوس وجود الفيلسوف أبوليوس فذهب لأستاذه وصديقه الذي سبق أن قابله في مدينة أثينا عندما قصدها ليتعلم الفلسفة والخطابة

(24) لوكيوس أبوليوس ، الحمار الذهبي ، ترجمة عمّار الجلاصي ، 2000. ص7؛ علي فهمي خشيم، دفاع صبراتة، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان: طرابلس .1974. ربيعة جوامعة، لوكيوس أبوليوس، مجلة القلم الثقافية الاجتماعية الشاملة، 21-7-2021م.ص 7.

https//:alkamworld.wordpress.com

(25) علي فهمي خشيم، دفاع صبراتة، الشركة العامة للنشر: طرابلس .1974ماذا قال علي فهمي خشيم عن أبوليوس؟

http://www.tawalt.com

فتقابلا وتوطدت الصلة بين الطالب وأستاذه الفيلسوف أبوليوس الذي دُعي إلى إلقاء بعض المحاضرات عن الفلسفة والأدب والطب في قاعة " إيوان " مدينة أويا 'طرابلس" وترتب عن هذه العلاقة زواج الفيلسوف ووالدة الطالب السيدة ايميليا بودنتيلا ، التي كانت تفوقه سناً وثراء وجمالاً والتي رفضت الاقتران لفترة طويلة ، لكن عندما طلبها أبوليوس وافقت على الزواج منه، وبدا زواجهما سعيداً أول الأمر، بتوفير أسباب الرفاهة المادية، في حين انهمك في الدراسة والبحث، ببيت فسيح جهّزت قاعاته بمكتبة يُدوّن بها البحوث والتجارب ، سواء في العلوم الطبيعية وتشريح الأسماك الغريبة، أو في الفيزياء ودراسة علم البصريات، أو في الطبّ والبحث في الأمراض العصبيّة. وما فتئ ميله إلى الخطابة يحمله مع ذلك على إلقاء المحاضرات بفصاحته المعهودة، ويحمله أيضا على ممارسة المحاماة والاضطلاع بالمرافعة دفاعًا عن مصالح زوجته، كلما رفعت قضيّة عقارية أو مالية من قضاياها أمام المحاكم.

أسباب المرافعة:

أثار زواج أبوليوس السيدة بودنتيلا غضب وحقد ورثتها وأقاربها، فكثر القيل والقال عن ظروف زواج هذا الشاب الفقير الغريب عن المدينة وأسبابه من امرأة رفضت طيلة إحدى وأربعون عامًا عروض خطابها من وجهاء أويا وأغنيائها. فما لبث أن تعكر نتيجة المؤامرات التي بدأ أقربائها يدبرونها، لأن مطامعهم في ثروتها قد خابت بسبب هذا الزواج. ولم تلبث الأراجيف أن تفاقمت حتى آلت إلى تقديم قضية قانونية مطالبين بإلغاء الزواج وكذلك شنُوا حملة تشهير ضد أبوليوس انتهت باتهامه رسمياً بأنه إنما حمل إميليا على الموافقة على الزواج منه بوساطة السحر الذي كانت عقوبته الإعدام في القانون الروماني.

التهم الموجهة إليه من قبل خصومه:

وجد أبوليوس نفسه في قفص الاتهام حيث وجهت له ثلاثة تُهم رئيسة:

التهمة الأول: أنه رجلٌ جميل وبليغ، والتهمة الثانية: التي توجه إليه هي ممارسته السحر، والتهمة الثالث: قام فيها بالدفاع عن زواجه من الأرملة بودنتيلا، التي أفحم فيها خصومه بالحجة والبرهان، متهما خصومه بالجهل عندما ترافع عن نفسه ضد متّهميه باقترافه لجريمتين وهما تهمة القتل العمد مع سبق الإصرار والترصد ثم تهمة ممارسة السحر الأسود وعقوبة كلٍ منهما الإعدام.

المرافعة ودفاع أبوليوس عن نفسه:

بموجب التهم المذكورة أعلاه قُدم أبوليوس للمحاكمة في صبراتة اتهموه على إثرها بالسحر حيث بدأ).Claudius Maximus) أمام رئيس المحكمة القاضي كلوديوس مكسيموس يدافع عن نفسه، وشهدت ساحة مدينة صبراتة سنة 158م مرافعة تاريخية أو خطبة مطولة -التي تحاكي دفاع سقراط -هي دفاع صبراتة المُحاورة التي أدارها مرتجلا لها الكاتب والفيلسوف الأفلاطوني والخطيب المفوّه أبوليوس، [26] في مرافعة تصفها الكتابات التاريخية بأنه" لم يبق سوى لحظات ويندفع الجميع إلى قاعة المحكمة" ليشهدوا محاكمة فيلسوف أديب، لقد كان هذا الرجل في نفس الوقت محاميًا وأديبًا الرئيسية وناقدًا أدبيًا ومؤرخًا ونحويًا وشاعرًا ومنطقيًا وعالم فلك وعالم تشريح وعالم نفس ومن كل هذه الألقاب كان يفضل لقب .[27]فيلسوف" بهي الطلعة عنيد الطبع صعب المراس بليغ العبارة ضليع في كل علم وفن". وقد جاء دفاعه جاء في كلمات صافية متسامية ، وسوف ينتصر الفيلسوف على خصومه الحاقدين وترتفع أصوات الجدل ثم تخفت شيئًا فشيئًا فإن للمحكمة جلالها

(26) بارعة القدسي، عقوبة الإعدام في القوانين، مجلة جامعة دمشق،مج 19 ،ع ،2003م. ص11.
(27) عمران محمد بورويس، ص6.

، بل أن القاضي ذاته ليس عاديًا في هذه المسألة الخطيرة إنه حاكم عام الإقليم نفسه، وجاء ليكون حَكماً بعد أن يسمع من الطرفين أقوالهما ، وكانت إجراءات التقاضي في تلك الأيام تستدعي أن يبدأ المدعي بطرح دعواه ودفاعه وطلباته وتبدأ الساعة المائية في العد، لقياس زمن مرافعته ، ثم تعدل الساعة المائية من جديد لإتاحة الفرصة للمدعى عليه أو المتهم .[28] لطرح دفاعه الذي سيستغرق نفس الزمن الأول" . تصدى أبوليوس للدفاع عن نفسه أمام المحكمة بخطبة وصلت إلينا بعد أن أدخل عليها كثيراً من الصقل والتنميق، في هذه المرافعة تجلى ذكاؤه وبلاغته بشكل أدهش مستمعيه ومكنه ذلك من تبرئة نفسه.

فقد دافع خلالها عن براءته من التهم المنسوبة إليه، بكل استماتة أمام محكمة وجمهور غفير، حيث كان وقع كلماته الرنانة التي ما فتئ الجمهور يسمعها حتى تزيد في حماسته وتحدث بينهم جلبة، استنكارا لما طال فيلسوفهم الكبير من ظلم وتهم واهية. فأدخل في مرافعاته هاته وبلمسة بارعة فواصل مرحة، ليفند بها في أسلوب لاذع بَاسم مليء بالهجو والحكمة، مستهزئا من خلاله بخصمه البليد. مزاعم واتهامات حيكت ضده.[29] زوراً وبهتانا وحسداً". وكانت نتيجتها أن كسب القضية والزوجة، ولكن الناس أصروا على الاعتقاد بأنه ساحر؛ وقضى الرجل بقية حياته يمارس صناعتي المحاماة والطب، وكتابة الرسائل والخطب، ولكن معظم ما كتب كان في الموضوعات العلمية والطبيعية؛ وقد أقامت له مدينته نصباً تذكارياً نقشت عليه باللاتينية العبارة الآتية: الفيلسوف الأفلاطوني، ولو أنه استطاع العودة إلى الحياة لسائله ألا يذكره الناس إلا بكتابه الحمار الذهبي.

دُوّنت مرافعة أبوليوس في مئتي صفحة، كنص مرافعة قضائي وكقطعة أدبية فلسفية ترجمت على يد الأستاذ الدكتور علي فهمي خشيم وأفرد لها كتابًا بعنوان دفاع صبراتة أورد به النص الكامل لدفاع أبوليوس، وترجمها الأديب الجزائري أبو العيد دودو من الفرنسية الحمار الذهبي، ثمّ نقلها من اللاتينية إلى العربية عمّار.[30]الجلاصي بعنوان الحمار الذهبي أو التحولات ".

نص المرافعة أو الدفاع Apologie:

أمّا الفصاحة، فإن لي فيها حظّا، فلا ينبغي أن يُعدّ ذلك أمراً غريباً ولا مكروهاً، إذ عكفت منذ فجر العمر على دراسة الأدب على أبرز رجاله، مزدريًا في سبيل ذلك كلّ ملاذ الحياة الأخرى. ثمّ إنّه عاب عليّ كذلك الفقر، وهي تهمة أقبلها مسروراً بل وأحبّ إعلانها أمام الملإ، أقول إنّ الفقر كان عبر القرون الماضية مؤسّس كلّ المدائن ومبتكر كلّ الفنون، خلوا من أيّ عيب وافيا لحظّ من كلّ مُجد، محلّ ثناء وإجلال لدى كلّ الأمم. الفقر هذا عينه هو الذي كان عند اليونان.. حكمةَ فيَ سقراط وفصاحة في هوميروس وهو الذي.[31] وضع الأسس لسلطان الشّعب الرّومانيّ،"

وأتى أبوليوس للرد على صُلْبِ دعواهم وهي اتهامه بالسحر " حتى لو كنت ساحراً

---

(28) شريف الدين بن دوبه، "أدب البحث عن الهوية"، مجلة جسور المعرفة، المجلد 4 العدد 4، ديسمبر 2018، ص ص 227-224.الموسوعة التونسية.
http//:www.mawsouaa.tn

(29) عبد السلام بن ميس، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة، ط2، منشورات ايدكل: المغرب، 2010.ص 109.

(30) يعود الفضل للدكتور علي فهمي خشيم في التعريف به منذ فترة مبكرة من النصف الثاني من القرن العشرين وقد ترجمت له عدة آثار أبرزها 'الحمار الذهبي " علي فهمي خشيم، دفاع صبراتة.

(31) لوكيوس أبوليوس ، الحمار الذهبي ، ص7.
لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، تر: عمّار الجلاصي، 2000. أبو العيد دودو، الحمار الذهبي، ط3، منشورات الاختلاف: بيروت، 2004 .ص41.

لأيّة فائدة كنت سأدفع بطلاسمي وعقاقيري بودنتيلا للزواج بي ، إذ أعلم أن كثيرًا من المتهمين بجريمة ما طلبوا للمحاكمة إذ ثبت أن لديهم باعثاً ما ربما أدى إلى ارتكابها ، ومع ذلك دافعوا عن أنفسهم بنحو ضاف واف من منطلق أن حياتهم تتنافر مع نوع الجريمة ولا يجوز اتهامهم لمجرد توفر بعض دوافعها لديهم كما يبدو، فعلاً لا يجب اعتبار كل ما أمكن حصوله قد حصل فعلاً فصروف الدهر تأتي بشتى الأحداث وسيما أي شخص هي طبعه الذي يدفعه باستمرار إلى الفضيلة أو إلى الشرّ. وهذا لعمري برهان متين يُعتمد لاستبعاد تهمة، مع أني بوسعي قول هذا وأنا على حق. أتنازل لكم عن ذلك. وما بكاف عندي تفنيد كل ما اتهموني به بنحو مستفيض إلاّ أني لم أترك مجالاً لأدنى ظنه بممارستي السحر. تناقشوا فيما بينكم حول مدى ثقتي ببراءتي واحتقاري لكم، إن وجدتم أدنى مبرر لرغبتي في الزواج ببودنتيلا من أجل مصلحة أرجوها إن أثبتم أدنى غنم. .[32] أكسبه " وفي نهاية المرافعة ألخص ببلاغة وإيجاز كامل التهم ورده عليها في كلمتين لكل تهمة قائلاً:

فماذا يأتي تُرى بعد ذلك؟ هات إذنً واحدة من تلك الجرائم العديدة، هات واحدة ظنّيّة أو غامضة تماما من تلك الجرائم البيّنة! هأنذا أردّ على كلّ واحدة من تهمهم بكلمتين لا أكثر: تنشُد المال!" — خذ الصّداق، تذكّر. [33] تزوّجتَ امرأة!" — تقتضيني القوانين الهبة، إقرأ الوصية"" أنا رددتُ كلّ تهمهم باستفاضة، إن دحضتُ كلّ الافتراءات، أنا برّأت نفسي لا فقط من كلّالتّهم، بل وكذلك من كلّ ما يشاع عنّي نمّا واغتياباً، أنا لم أنقص أبدا شرف الفلسفة الذي هو عندي أفضل من سلامتي، بل صنته بحرص أينما كنتُ، ماسكا إيّاه بسبع ريشات كما يقال، إن كان ذلك كما أقول فبوسعي أن أنتظر مطمئنّاً حكمك بإجلال وبلا وجل من سلطتك فلأن يدينني وال أهون في اعتقادي وأقلّ رهبة من أن يستهجنني رجل بمثل فضلك واستقامتك.. والسّلا م) وعندما اوشكت الساعة المائية على انتهاء الوقت المحدد له أنهى مرافعته بعدها أصدر القاضي (حاكم الإقليم) [34] حكماً بالبراءة".

إن الدلالات التي يتضمنها النص صريحة ووافية بالقصد واعتمادًا على النص يمكن القول بأن للنّصّ أهمية بالغة من حيث تطور القضاء في شمال أفريقيا بشكل عا م ومدينة صبراتة بشكل خاص فقد بقيت المرافعة متداولة ليومنا هذا مصدراً للقضاء وهو كذلك ذو قيمة تاريخيّة فتعرفنا المرافعة بحالة المدينة المتقدمة على المستويين الفكري والقضائي وقد سجلت لنا وثيقة حالة الصراعات الفكرية داخل صبراتة بين الرومان والسكان المحليين ، كما تناولت المرافعة بين طياتها جوانب من الحالة الاجتماعية والقانونية لمجتمع مدينة صبراتة والمتمثل في العنف المتفشي داخل المجتمع الروماني ، في كتاب المطارحات الشهير: (دفاع صبراتة فعندما تقرأ تحوّلات الجحش الذهبي أو دفاع صبراتة تجد فيها الروح المقاومة للهيمنة الرومانية رد فيها على تهم متنوعة مفصلة، اتهمه خصومه فيها بالتحايل للحصول على مالها كونه فقيرًا، واستعمال السحر وشبهات فيما يتعلق بصنع بعض المواد، و استعماله للأسماك وبعض الأدوات .. رد عليها كلها بصيغة بليغة، وحجج قوية متناسقة. ويبرز تطور القضاء في المرافعة في براعة الحوار والآليات الجدلية للمرافعة " التي طوّرها أفلاطون عن أستاذه سقراط وبراعة الحجج البلاغية التي أتقن أبوليوس الشّاب تعلّمه في أثينا وامتهنه في أويا متكسبًا منه ومعتاشًا مواجهًا ما وجه له من طرف الورثة من أقارب السيدة بونتديلا وما حاق به، أيّ المكيدة العائلية في طرابلس بغرض إعاقة زواجه منها واتهامه بالتغرير بها بهدف وضع يده على أموالها. ويتجلى تطور القضاء في مرافعة صبراتة في بنية المحاورة التحليلية للمرافعة التي" لم يدافع فيها الفيلسوف عن نفسه وشرفه فحسب وإنما دافع عن تعاطي السحر

(32) علي فهمي خشيم، دفاع صبراتة. ص 242-240.

(33) سعيد بلغريبي،" الحياة الأدبية، مجلة الحوار المتمدن، العدد: 4634 ، 15/11/2014م http://www.ahewar.org

(34) عمران بورويس. ص 6.

التهمة المعاقب عليها بالموت في القانون الروماني منتصرًا صوريًا على مخاصميه متجاوزًا لهم بموقف فكري استند على أقوال أفلاطون بوجود قوى فوق الطبيعية الوسيطة بين الآلهة والبشر تتحكم في شتى أنواع الكهانة [35] وما يأتي به السحرة من خوارق" وتشير المرافعة إلى تطور القضاء من حيث براعة أبوليوس في التماهي في مرافعته وروح الدفاع، مخجلاً متهمًا واضعًا مشتكيه في موقف الاستجواب بدلا من وضعية الادعاء، من بين كلامه في مرافعة صبراتة قوله:" إني لأنهض بالأمر كله على السواء باللسان الاغريقي أو اللاتيني بالإقبال والوثوق نفسه، والجد نفسه والطراز والأسلوب نفسه. وحاجج عن نفسه ممًا طاله من أولئك الذين ربما وجدوا في شهرته الأدبية تهديدا لمنافعهم ومصالحهم الشخصية، وهو الذي يقول عنهم متأسفا: لا يمكن حقاً أن نجد من سبب سوى الحسد العقيم لإقامة هذه، ونتيجة لفصاحته وذكائه استطاع الدّعوى ضدّي، فضلا عمّا دبّر لي من عديد المكائد والمهلكات" بالحنكة والحجج البيّنة أن ينجوَ ببراءة من مقصلة الإعدام.

من خلال عرض نص المرافعة يظهر بشكل واضح التأثير الكبير للقانون الروماني على القوانين في صبراتة من حيث ممارسة إجراءات التقاضي بشكل عام.

النتائج:

شكّلت موضوعات المرافعة مغزىً هامًا حول مصائر البشر القضائية في كتابات أبوليوس، وطبعتها وأكدّت معاصرتها وحضورها المتواصل في الذاكرة التاريخية الإنسانية، بخاصة التي اختصّت بالمعالجة القانونية في المرافعة، فقضى أبوليوس بقية حياته يمارس صناعتي المحاماة والطب، وكتابة الرسائل والخطب، وقد أقامت له مدينته نصباً تذكاريا نقشت عليه باللاتينية العبارة الآتية: الفيلسوف الأفلاطوني، ولو أنه استطاع العودة إلى الحياة لسائه ألا يذكره الناس إلا بكتابه الحمار الذهبي "، ذاع صيت الخطيب أبوليوس وشهرته التي ما فتئت تتعاظم يوماً بعد يوم، التي قال عنها مواطنه أوغسطينوس: عندنا نحن [36] الأفارقة، أبوليوس هو الأكثر شعبية بيننا" مهمة عن تطور القضاء الذي هو نتاج مرافعة أبوليوس ببلوغه فن يتضمن نص المرافعة نتائج الخطابة والفصاحة والمعرفة والحكمة لبلوغ الحقيقة التي يعترف بها أبوليوس على حد قوله "مهما كانت قدرتي [37] وملكيتي من الفصاحة فالحقيقة لا تظهر في امتلاكها، بل في السعي نحوها". ما من شك أن مرافعة صبراتة هي أهم المرافعات لما نتج عنها من إثبات الحقوق وانتصار للمبادئ ودفاع عن النفس، وتتجلى فيها روح المقاومة للهيمنة الرومانية وليست هذه المرافعة أو الدفاع وليدة هذا العصر وإنما عرفتها الحضارات القديمة كما رأينا من خلال استعراض التطور التاريخي للقضاء.

ونظرًا إلى أن مرافعة صبراتة ذات أهمية تاريخية فإنها عُدت واحدة من أشهر المرافعات في التاريخ القديم.

وللمرافعة قيمة تاريخية هامة تفيد في مجالات القضاء وتطور المرافعات واستمرار وتأثير القانون الروماني. صنفت مرافعة صبراتة أشهر القطع الأدبية في تاريخ شمال أفريقيا الرومانية بشكل عام وصبراتة الليبية بشكل خاص، التي خُلّد اسمها وارتبط بمرافعة صبراتة إلى جانب أهمية المرافعة الأدبية ما تتضمنها منه معلومات حول سيرة أبوليوس، فقد استقر في قرطاج متدرجا في مستويات الكهنوت، ما دعاه إلى الانشغال بالكهانة ولم تحدد المصادر التاريخية نهايته باستثناء الإشارة إلى أنه توفي عام 180 م.

التوصيات والدراسات المستقبلية:

(35) نورالدين خليفة النمر، دفاع صبراتة، الثلاثاء 16 فبراير 2016، http://alwasat.ly

(36) سعيد بلغربي، مرجع سابق، http://www.ahewar.org

(37) شريف الدين بن دويه، مرجع سابق، ص 230.

إن للمرافعة ضرورة بالغة نابعة من وثيق صلتها بإظهار الحق وتحقيق العدالة من جميع جوانبها، لذلك يجب على المترافع الاهتمام بلغتها وإتقان أساليبها والالتزام بآدابها وإيلائها قدراً عالياً من اهتمامه وفي سبيل [38] ذلك توصي الباحثة في نهاية هذا البحث وبناءً على ما سبق بالآتي:

تفيد دراسة مرافعة صبراتة في التعرف على جوانب أخرى حضارية أخرى مثل فن الخطابة والأسرة والسَحر والأديان في صبراتة.

أُوصي بوضع مساق دراسي يُدَرّسُ فيه طالب التاريخ، الحضارة والتاريخ معاً، فهذا الطالب هو غداً أحد ثلاثة، إمّا باحثاً، أو معلماً، أو أكاديمياً، ولا غنى للثلاثة عن قسْمي التاريخ والحضارة وهذا يشتمل على العديد من المسائل التي تَدْرَس الجانب الحضاري بشكل عام وتطور النظم القانونية ومنها نظام المرافعات.

ترى الباحثة أن المقارنة بين مرافعة صبراتة والمرافعات الرومانية بالإضافة إلى القوانين الأخرى التي ظهرت في نفس المرحلة الزمنية يشكل رافدٌ ومصدرٌ تاريخي لكثير من القوانين الغربية.

قائمة المصادر والمراجع

1- إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة، 1978.

2- أحمد محمد إنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي، الدار الجماهيرية للنشر والإعلان: ليبيا، 1993.

3- أرسطو طاليس، السياسة، تر: أحمد لطفي السيد، منشورات الفاخرية: الرياض، (د.ت).

4- بارعة القدسي، عقوبة الإعدام في القوانين، مجلة جامعة دمشق، مج 19، ع 2003،م

5- توفيق حسن فرج، القانون الروماني، الدار الجامعية للطباعة والنشر: بيروت، 1985.

6- د. ي، هاينز، دليل آثار وتاريخ منطقة طرابلس، منشورات مكتبة: طرابلس، 1946.

7- ربيعة جوامعة، لوكيوس أبوليوس، مجلة القلم الثقافية الاجتماعية الشاملة، 21-7-2021م.

8- سعيد بلغربي،" الحياة الأدبية، مجلة الحوار المتمدن، العدد: 4634، 2014/11/15م.

http//:www.ahewar.org

9- سلمان القضاة، المرافعة القضائية، جامعة اليرموك: دمشق، 29-نوفمبر 2014.شبكة المعلومات الدولية.

https://koha.birzeit.edu

10- شريف الدين بن دوبه،"أدب البحث عن الهوية، مجلة جسور المعرفة، الموسوعة التونسية، المجلد 4 العدد 4، ديسمبر 2018.ص ص 224-227

http//:www.mawsouaa.tn

11- شفيق جراح، دراسة في تطور الحقوق الرومانية ومؤسساتها، مطبعة رياض: دمشق، 1982.

12- صوفي حسن أبو طالب، مبادئ تاريخ القانون، دار النهضة العربية: القاهرة ،1963.

13- عبد الحفيظ فضيل الميّار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المركز الليبي للمحفوظات: طرابلس، 2001.

14- ــــــــــــــــــ، دراسة تحليلية للنقائش البونية، منشورات جامعة الفاتح: طرابلس،2005.

15- عبد السلام بن ميس، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة، ط2، منشورات

(38) محمد بن علي بن خميس المرزوقي، بحث في آداب وفنون المرافعة امام المحاكم، إنجازاً لمتطلب دورة تدريب معاوني الادعاء العام، قدم بتاريخ31/12/2005 م، https://www.mohamah.net/law

ايدكل: المغرب، 2010.: بغد

16- عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب الكبير القديم والوسيط، تر: فضيل الحكيم، دار الحداثة،1982.

17- عبد المجيد الحفناوي، دراسات في القانون الروماني، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت: 1986.

18- عصام طوالبي الثعالبي، مدخل عام تاريخ القانون، دار هومة: الجزائر،2016.

19- عكاشة محمد عبد العال، القانون الروماني، الدار الجامعية للطباعة والنشر: بيروت، 1988،

20- علي فهمي خشيم، ماذا قال علي فهمي خشيم عن أبوليوس؟

http//:www.tawalt.com

21- ميشيل فيليه، القانون الروماني، ترجمة: هاشم الحافظ: مطبعة الإرشاد: بيروت،1964،

22- محمد البشير الشنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر،1985.

23- محمد بن علي بن خميس المرزوقي، بحث في آداب وفنون المرافعة امام المحاكم، إنجازاً لمتطلب دورة تدريب معاوني الادعاء العام، قدم بتاريخ 2005/12/31م

https://www.mohamah.net/law

24- محمود الصديق أبوحامد، طرابلس من الاستيطان الفينيقي، الدار العربية للكتاب: طرابلس، 1978.

25- منذر الفضل، تأريخ القانون، ط2، منشورات تاراس: أربيل، 2005.

26- نورالدين خليفة النمر، دفاع صبراتة، الثلاثاء 16 فبراير 2016،

http://alwasat.ly

27- هشام بن ورزق، محاضرات في تاريخ النظم القانونية، جامعة محمد لمين دباغين: سطيف،2014.

28- ول ديورانت، قصة الحضارة ط2، تر: محمد بدران. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت- تونس، 1959. مج 3.

29- Carinemahy, “Sabratha’ Retrieved.’ Edited 282011-4- www.ancien

eu https://koha.birzeit.edu

30- Markoe, Glenn, Phoenicians (Peoples of the Past), Hardcover: June

1, (4),2000.

31- B.H. Warmington..H.”The Semitic Migrations to Libya and North Africa Libya Antqua,Printed in France:unesco.1986.

32- ——————— Carthage Pelican.Book. fuland,1964.

33- محمد بن علي بن خميس المرزوقي، بحث في آداب وفنون المرافعة امام المحاكم، إنجازاً لمتطلب دورة تدريب معاوني الادعاء العام، قدم بتاريخ 2005/12/31م

https://www.mohamah.net/law